

محاضرة درّة المواسم رمضان

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اتَّبَعَ سُنَّتَهُ وَاقْتَفَى أثره بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد؛ فنحمد الله ﷻ على تجدد اللقاء.

أيها الإخوة الكرام إن الناظر في حال سلف الأمة يرى فيهم اجتهادًا عظيمًا واستكثارًا من الأعمال الصالحة، يرى من أولئك الذين جعلهم الله ﷻ صفوة اصطفاهم في تلك القرون المباركة، استزادة من التقوى وعملاً بالصالحات، واشتغالًا بما يقرب إلى الله جل وعلا.

حتى إنه قيل في كثير منهم: إنه لو قيل لأحدهم إن القيامة تقوم غدًا ما قدر أن يزيد في عمله شيئًا.

وذلك لأنهم قوم شمروا في طاعة الله ﷻ، اجتهدوا في كل ما يقربهم الله ﷻ، فهموا وعقلوا أن هذه الدنيا مزرعة الآخرة، وأنها معبر لا مقر، الفائز فيها من اجتهد بالعمل الصالح، من استكثر من زاد التقوى جل وعلا بالتزود به حيث قال: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة: ١٩٧].

الله جل وعلا -أيها الإخوة- أمر أهل الإيمان بالاشتغال بالطاعات فقال ﷻ: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ ثم قال: ﴿ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

إن الناظر في سير الأنبياء وما ذكره الله جل وعلا عنهم في محكم التنزيل في الكتاب الحكيم يرى أن من أوصافهم التي وصفهم الله بها أنهم قوم يسارعون في الخيرات، قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقد وصف الله جل وعلا خواص عباده وخُلص أصفياه بهذه الصفة فقال ﷻ: ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

أيها الإخوة؛ إن الله جل وعلا برحمته وميته جعل العمر مزرعة للآخرة، ومن عظيم فضله أن جعل من المواسم ما هو محلاً للاستزادة من الخيرات والاستكثار من الطاعات والمسابقة فيما هو سبب لحصول جنة عرضها السموات والأرض.

فمن تلك المواسم؛ بل من أبرز تلك المواسم؛ بل هو درة المواسم ما نحن مقبلون عليه بعد ليالٍ قليلة، إنه شهر رمضان المبارك الذي خصّه ﷺ بخصائص قدرية كونية، وخصّه بأحكام شرعية كثيرة، إن مما خصّ الله به هذا الشهر أن اصطفاه فجعله محلاً لنزول أعظم آية أوتيها نبي، ألا وهي القرآن، قال الله جل وعلا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، هذا الشهر الذي أنزل الله فيه خير كتبه على خاتم رسله يدلُّك على أن له من المزية والخاصية ما جعله محلاً لهذا الاصطفاء والاختيار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، إن من الخصائص القدرية التي خصّ الله بها هذا الشهر أنه شهر تُفتح فيه أبواب الجنة فلا يبقى منها بابٌ مغلق، وتغلق فيه أبواب النيران فلا يبقى فيها باب مفتوح؛ بل قد قال رسول الله ﷺ: «وتصفد فيه الشياطين»، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»،^(١) وفي رواية الترمذي قال ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب» ثم اسمع قال: «وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر» ثم استمع «ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»،^(٢) هذه فضائل عظيمة تدلُّك على عظيم منزلة هذا الموسم، وأنه درة المواسم، وهو محل لكثير من الخصائص الشرعية والأعمال العبادية التي يستكثر بها العبد من زاد التقوى من الصالحات التي يسر بها يوم العرض على الله جل وعلا.

ألا وإن من أخص ما اختص به هذا الشهر وتميز به تلك العبادة التي رفع الله شأنها وعظّم قدرها كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»،^(٣) وهذا يدلُّك على اختصاص الله بهذه العبادة التي جعلها دون سائر العبادات له، مع أن العمل كله له، فالدين كله له ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] لكنه أضافها

(١) البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان، حديث رقم (١٨٩٩). مسلم: كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، حديث رقم (١٠٧٩).

(٢) الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، حديث رقم (٦٨٦). ابن ماجه: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، حديث رقم (١٦٤٢). قال الألباني: صحيح.

(٣) البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم. حديث رقم (١٩٠٤). مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم (١١٥١).

إليه دون سائر العبادات لعظيم الأجر المرتب عليه ولذلك قال: «إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزئي به»، هذه العبادة رتب الله ﷻ عليها في هذا الشهر من الفضل والأجر أن قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»،^(١) من صام رمضان إيماناً واحتساباً وانتبه إلى هذين القيدتين الذين يغفل عنهما كثير من الناس «إيماناً» والإيمان هو التصديق، والاحتساب هو صدق الرغبة فيما عند الله جل وعلا تصديقاً بما أخبر الله من الفضل، وبما شرع من الحكم، واحتساباً للأجر عنده ﷻ.

فمن كان هكذا صيامه فليبشر فإن الذنوب تتحات عنه بصيامه هذا الشهر المبارك، «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، فصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة من ليالي هذا الشهر نسأل الله من فضله. أيها الإخوة الكرام إن من أبواب البر وصور الخير وطرائق الإحسان التي خصها الله بها هذا الشهر المبارك أن جعل قيام ليلة إيماناً واحتساباً سبباً لمغفرة الذنوب وخطايا السيئات. ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».^(٢)

وهذا صدق ما أخبر به النبي ﷺ «رغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له».^(٣) فإن من أسباب المغفرة في هذا الشهر كثيرة: الصوم إيماناً واحتساباً سبباً للمغفرة، قيام أيام هذا الشهر إيماناً واحتساباً سبباً للمغفرة.

أيها الإخوة الكرام؛ إن قيام رمضان يحصل بأن يلزم المؤمن أهل المساجد في صلاة التراويح، فلا ينصرف حتى ينصرف الإمام، فمن فعل ذلك فإنه يحصل له قيام رمضان. ففي الترمذي^(١) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صُمنّا مع رسول الله ﷺ فلم يصل بنا -يعني صلاة

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب صوم رمضان إيماناً واحتساباً، حديث رقم (٣٨). مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث رقم (٧٦٠).

(٢) البخاري: كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، حديث رقم (٣٧). مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في رمضان وهو التراويح، حديث رقم (٧٥٩).

(٣) الترمذي: كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ رغم أنف رجل، حديث رقم ٣٥٥٥. قال الألباني: حسن صحيح.

الليل - حتى بقي سبع - أي سبع ليالٍ أي من الشهر - فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل - أي مضى ثلث الليل وهم يصلون - ثم لم يقم بنا في السادسة، وقام بنا في الخامسة - أي في الخامسة من آخر الشهر - حتى ذهب شطر الليل وهم يصلون، فقلنا له: يا رسول الله؛ لو نفلتنا بقية ليلتنا - أي لو أعطيتنا بقية ليلتنا صلاةً وعبادة، فقال النبي ﷺ: «إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة» سواء طال قيامه أو قصر، فاحرص على ملازمة الأئمة في صلاة التراويح حتى ينصرفوا فإنه سبب لقيام الليل، وسبب لتحصيل الفضل الذي قال فيه النبي ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»؛^(٢) لكن إياك أن تقتصر في الاشتغال على فضل القيام بالصورة فقط، فإن من الناس من يبادر إلى المساجد التي تقصر صلاتها ويخف ركوعها وسجودها، ولا يتدبر ما يقرأ فيها، فلا شك أن هذا لم يقم رمضان، لم يقم الليالي حق القيام، فإن القيام هو أن يقوم الإنسان راغباً فيما عند الله ﷻ إيماناً واحتساباً بقلب خاشع وعين دامعة ولسان ذاك ومتدبر لما يقرأ عليه وما يسمعه من كلام الله ﷻ ليكون في زمرة من قال الله جل وعلا فيهم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [السجدة]، نسأل الله من فضله.

فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة من ليالي هذا الشهر. أيها الإخوة الكرام إن مما ازدان به هذا الشهر، إن مما اختص به الله هذا الشهر دون سائر ليالي الزمان ليلة القدر التي جعلها الله جل وعلا خيراً من ألف شهر، عظم الله شأنها فقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾، وهذا أول التعظيم أن اختصها الله لإنزال خير آية أوتيتها نبي، وهو القرآن العظيم، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾، وهذا تعظيم آخر من رب العالمين لشأن هذه الليلة ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر]، ففضل الله جل وعلا في هذه الليلة عظيم وخيره فيه جليل، كم فيها لله ﷻ من العتقاء؟ كم فيها ممن يرفع الله ﷻ أجورهم ويعلي منازلهم بما معهم من صدق الرغبة وجد العزيمة في طلب رحمة الله ومغفرته؟ فإنه من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه كما جاء ذلك في حديث أبي

(١) الترمذي: كتاب الصوم عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في قيام شهر رمضان، حديث رقم (٨٠٦). ابن ماجه: كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في قيام رمضان، حديث رقم (١٣٢٦). قال الشيخ: صحيح.

(٢) تم تخرجه صفحة: (٤).

هريرة في «الصحيحين» قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»،^(١) فالله أكبر.

يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء في كل ليلة من ليالي هذا الشهر، نسأل الله من فضله.

أيها الإخوة الكرام؛ إن من أبواب البر وصفوف الخير التي يزدان بها هذا الشهر أنه محلّ لكثرة قراءة القرآن، قراءة القرآن التي هي شفاء القلوب، واستقامة الأحوال، فإن الله جل وعلا أخبر بأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وهدايته للتي هي أقوم في العقائد والأعمال والأخلاق والأحكام وجميع الشؤون، فمما اختص الله به هذا الشهر أن أنزل فيه القرآن فحقه أن يُجتهد فيه في قراءة القرآن، وأن يوفر الإنسان نفسه على الاستكثار من القراءة ما استطاع، فإن الله ﷻ ذكر القرآن، ذكر شهر رمضان وذكر أنه أنزل فيه القرآن ثم بعد ذلك ذكر فرضية الصيام، فقال ﷻ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾، ثم قال: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالصيام هو شكر لتلك المنن، وقيام بحق تلك النعم، وهو ما أنزله الله ﷻ واختص به هذا الشهر من إنزال هذا القرآن الحكيم.

فاستكثروا أيها الإخوة، استكثروا من قراءة القرآن، وتدبره وتلاوته وسماعه والاهتداء بنوره، فهذا القرآن يهدي للتي هي أقوم.

ومن المحفوظ من هدي النبي ﷺ أنه كان يختم القرآن في رمضان كل عام مرة، وفي العام الذي قبض فيه ختمه ﷺ مرتين، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة قال: كان يعرض جبريل على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه.^(٢)

ولكن انتبه أيها الأخ إياك وأن يكون همك في قراءتك أن تختم القرآن على أي وجه كان؛ لا تقف عند عظاته، ولا تعتبر بما فيه من العبر ولا تمتثل ما فيه الأحكام.

جاء رجلٌ إلى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يسأله مسألة من العلم، فقال له عبد الله كلاماً فأراد هذا

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان، حديث رقم (٣٥). مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث رقم (٧٦٠).

(٢) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب ان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، حديث رقم (٤٩٩٨).

الرجل أن يبين تقدّمه وحفظه في القرآن وضبطه له، فقال: يا أبا عبد الرحمن إني لأقرأ المفصل في ركعة. المفصل أي من سورة الحجرات على مصحف عثمان رضي الله عنه إلى آخر الناس من سورة الحجرات أو من سورة ق إلى آخر المصحف يقرؤه في ركعة.

فقال له عبد الله مؤدبا معلما مربيا قال له: هَذَا كَهَذَا الشعر؟ أي تقرأ هَذَا كَهَذَا الشعر، إن أقواما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم؛ ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه؛ نفع.

وهذا يدل على أن النافع في القراءة ليس كثرة الختمات ولا كثرة المقروء من الكتاب، إنما النافع هو أن تكون القراءة مؤثرة قال رضي الله عنه كما في رواية الإمام أحمد: هَذَا مثل هَذَا الشعر أو نثرا مثل نثر الدقل إنما فصل لتفصلوا. أي أن القرآن فصل وبين وجزئ لتفصلوا في قراءته وتقفوا عند عجائبه وتحركوا به القلوب.

دخل عبد الرحمن بن أبي ليلى على امرأة من السلف وهو يقرأ سورة هود في طريقه، فدخل عليها وهو يقرأ سورة هود، فلما رأته وسمعتة يقرأ سورة هود قالت له: يا عبد الرحمن أهكذا تقرأ سورة هود؟ والله إني فيها لمن ستة أشهر، تقرأ سورة هود؟ أنكرت على أحد طلاب العلم هذه القراءة التي خفّ بها لسانه ولم يقف عند ما فيها من المعاني، ويتدبر.

ولذلك قال ابن القيم رضي الله عنه: فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن.

فالواجب علينا -أيها الإخوة- أن نهتم بفهم القرآن، بمعرفة معانيه، بما فيه من العظات والعبر، ولا أسهل على الإنسان في تحصيل هذا من أن يقتني كتابا يبين له معاني القرآن، ويجلّي له ما أشكل عليه فإنه شهر القرآن، إذا أقبل عليه الإنسان قراءة وفهما فُتح له فيه من الخير ما لا يجده في غيره؛ لأن الإنسان إذا وفر نفسه على الشيء حصّل منه ما لا يحصله في غيره.

فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار في كل ليلة من ليالي هذا الشهر، نسأل الله عز وجل من فضله.

أيها الإخوة الكرام إنّ من فضائل الأعمال التي ندب إليها رسول صلّى الله عليه وآله خير الأنام في هذا الشهر المبارك في شهر رمضان الإحسان إلى الخلق، فإن الإحسان قولا وفعلا وعملا وجودا وبراً وكرماً هو هديه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فالنفوس بسبب ما تشتغل به من الأعمال الصالحة من الصيام من

القيام، من قراءة القرآن، من المسابقة في تحصيل الفضائل تزكو، تتخلص من كثير من أسباب الانحراف من أسباب القعود، وإذا زكت النفس طُهرت، وإذا طُهرت بذلت الخير.

ففي «الصحيحين» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس. هذا هو هديته وخلقه على وجه العموم. وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة في رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.^(١) وهذا يدل على أثر القرآن، وأن القرآن يؤثر في النفوس، فإذا كان القرآن يؤثر في نفس النبي ﷺ فيزداد جوده.

فينبغي لنا أن نتأسى به، وأن يكون القرآن مؤثراً في أخلاقنا صلاحاً، وفي أعمالنا استقامة، وفي نشاطنا في الطاعة زيادة وكثرة، فإن الإنسان إذا قرأ القرآن وخرج منه بلا نفع ولا زيادة من الخير لم يكن قد حصل المقصود من قراءة القرآن، فأحسنوا أيها الإخوة وأكثروا من الإحسان، وليس الإحسان ببذل المال فقط بل الإحسان ينتظم كل طريق من طرق البر، فإذا عجزت عن شيء منه، فلا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق، عامل الناس بمعاملة حسنة، ابذل الخير للناس، عاونهم فيما يحتاجون إليه من الإعانة، وإذا حصل لك ذلك فأبشر فإنك على خير وقد حصلت شيئاً مما كان عليه الرسول ﷺ من الجود وحسن الأخلاق.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة، نسأل الله أن نكون منهم.

أيها الإخوة الكرام، إن من أبواب الخير ومن أبواب الطاعة، ومما ينبغي لنا أن نشغل به في هذا الشهر في العمل الصالح، ما سنّه رسول الله ﷺ، وحافظ عليه من اعتكاف العشر الأخير من هذا الشهر المبارك، فإن النبي ﷺ داوم على هذه السنة، وحافظ عليها.

ففي «الصحيحين» من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده.^(٢) فاحرصوا على هذه العبادة التي هي

(١) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب ان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، حديث رقم (٤٩٩٧). مسلم: كتاب الفضائل: باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، حديث رقم (٢٣٠٨).

(٢) البخاري: كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في أواخر الاعتكاف في المساجد كلها. حديث رقم (٢٠٢٦). مسلم: كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، حديث رقم (١١٧٢).

سببٌ لحصول فضل ليلة القدر، فإنَّ النبي ﷺ إنما اعتكف العشر الأواخر طالباً ليلية القدر ولذلك كان يجتهد في العشر الأخير من هذا الشهر ما لا يجتهد في غيره.

والاعتكاف ليس البقاء في المسجد على أي وجه، إنما هو بقاءٌ مخصوص، وهو بقاء يلزم فيه الإنسان المسجد تعبدًا لله ﷻ وطاعة وطلبًا لرفعة الدرجات والرفعة في الدار الآخرة، وهذا يعني أن لا يشتغل الإنسان بكل ما يفوت عليه هذه الفضائل، فاشتغال الناس بكثرة الكلام والمخالطة والذهاب والمجيء في المساجد، هذا مما ينافي مقصود الاعتكاف، ومما لا يحصل به الفضل المرتب عليه، فاحرصوا على أن يكون اعتكافكم اعتكافًا يحصل به المقصود، وهو زكاء الأخلاق والاجتهاد في الطاعة، والتقرب والاستزادة من زاد التقوى.

فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة من ليالي هذا الشهر، نسأل الله أن نكون منهم.

أيها الإخوة إنَّ مما ينبغي للمؤمن أن يجتهد فيه، وأن يعمل وقته فيه، هو تلك العبادة التي ذكرها الله في ثنايا آيات الصيام، فإنَّ الله جل وعلا ذكر فرضية الصيام بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ثم بين أحكامه وفي ثنايا هذه الأحكام، قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهذا يدل على أن من خصائص الصيام أن يجتهد الإنسان في الدعاء، فإن ذكر الدعاء في ثنايا آيات الصيام يدل على عظيم شأنه، وأنه من مواطن الإجابة، وقد جاء في ذلك حديث فيه بعض الوهن لكنه يعتضد بمثل هذه الإشارة التي تضمنتها آيات الصيام، وقد قال النبي ﷺ: «إن للصائم دعوة لا ترد»^(١)، وقد عمل بذلك سلف الأمة ومن الصحابة رضي الله عنهم فكانوا يجتهدون في الدعاء في الفطر، كما ورد ذلك عن ابن عمر وغيره رضي الله عن الجميع.

فاجتهدوا -أيها الأخوة- في الدعاء في هذا الشهر؛ فإنه قد وجه النبي ﷺ إلى الدعاء في أشرف أوقات هذا الشهر في ليلة القدر، فسألته عائشة كما في الترمذي وغيره: ما أقول إذا علمت ليلة القدر أو

(١) ابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما في الصائم لا ترد دعوته. حديث رقم (١٧٥٣)، قال الألباني: ضعيف.

وافقت ليلة القدر؟ قال: «قولي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(١)، فوجهها ﷺ إلى السؤال والدعاء وهذا يدل على أن الدعاء في هذا الشهر له من الخاصية ما ليس لغيره، فينبغي للمؤمن أن يجتهد فيه وأن يُعمل نفسه في الاستكثار منه، لاسيما في مواطن الإجابة كالأسحار، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبة والمسنونة.

إنَّ مما يجتهد فيه الإنسان في هذا الشهر ويعمل أعضائه وبدنه فيه، رغبة فيما عند الله جل وعلا الاجتهاد في العمرة، إن تيسرت له وتمكن منها، فإن النبي ﷺ قال لإحدى نساء الأنصار تخلفت عنه في حجة الوداع وأبدت عذراً قال: «عمرة في رمضان تعدل حجة» قال في رواية البخاري: «تقضي حجة أو حجة معي»؛^(٢) أي تعدل حجة معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فينبغي لمن استطاع أن يرحل إلى البيت الحرام في عمرة يحقق بها هذه السنة فهذا من الخير وأن لا يفوت ذلك على نفسه.

لكن هل من لوازم العمرة أن يصرف الأموال الطائلة وأن يمضي الأوقات الطويلة في مكة؟ الجواب: لا، إنما يحصل هذا الفضل بمجرد الفراغ من العمرة من الطواف والسعي والتقشير، ثم بعد ذلك يرجع إلى بلده، وهذا خير من أن يمكث هناك يزحم الناس، وقد لا يحصل له المقصود من سكون القلب وخشوعه لكثرة العالم وكثرة الجائين إلى تلك البقعة المطهرة البقعة التي اصطفاها الله جل وعلا وجعلها أحب البقاع إليه، فإذا فرغ الإنسان من عمرته، رجع إلى بلده واشتغل بما فيها من الخير دون أن يلازم أو يجاور، وإن بقي فالأمر في هذا واسع؛ لكن ينبغي له أن لا يكون بقاؤه في تلك البقعة وجلسه في ذلك المكان المبارك سبباً لتضييع الواجبات كالقيام على الأهل والأسرة والأولاد وما أشبه ذلك، فإن من الناس من يذهب إلى ذلك المكان الطاهر، ويغفل عن ما أوجبه الله عليه من صيانة الأولاد والقيام بحقهم ورعايتهم؛ بل بعضهم قد يصطحب أولاده ويضيعهم في ذلك المكان.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم البر والتقوى.

أيها الإخوة الكرام؛ هذه بعض اللمحات على بعض الأعمال التي تكون في ذلك الموسم الكريم، فطوبى لمن كانت التقوى بضاعته في شهره وبحبل الله معتصماً.

(١) الترمذي: كتاب الدعوات، حديث رقم (٣٥١٣). ابن ماجه: كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، حديث رقم (٣٨٥٠). قال الألباني: صحيح.

(٢) البخاري: كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، حديث رقم (١٨٦٣). مسلم: كتاب الحج، باب فضل العمرة في رمضان، حديث رقم (١٢٥٦).

أيها الإخوة إنني أنبهكم إلى أنه لا مكان لتريث ولا لتأخير في المسارعة إلى جنة عرضها السموات والأرض، فالليل والنهار مطيتان تحثان السير إلى المنايا والآجال، وقد قال الله جل وعلا: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران]، قال الله جل وعلا: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

اللَّهُمَّ أعنا على الطاعة والإحسان، ووقفنا إلى ما تحب وترضى من الأقوال والأعمال.
اللَّهُمَّ استعملنا فيما تحب وترضى، واجعلنا ممن يبلغ هذا الشهر المبارك ويستزيد فيه من الطاعات والإحسان.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تجعله شهر خير، وبركة، ونصر وعز لأمة الإسلام.
وصلى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

